البعد من المجد!

اخي الكريم

تلقيت كتابك المتوج بـ«دار العلم للملايين»، والموقع بـ«الدكتور سهيل ادريس».

ولك ان تقدر احترامي للتاج، وودي واخلاصي للتوقيع. اما ما بينهما من آمال معقودة على «الآداب»، فشيء تعلق بنفسي منه اشياء تطفو وتغور. ربما اختفت دهراً، فخلتها زالت واضمحلت، ثم إذا هي تعود فجأة وتُتلع اعناقها، ليس لها سمت ولا ميعاد. قد تطالعني وانا آكل او اشرب، فأغصّ باللقمة والماء القراح، وقد تتراءى لي في الحلم فتقضّ عليّ مضجعي. ولعلّ اشد ما يكون وقعها عليّ إذا اكون سائراً في طريقي — كعهدي بك في بيروت بالأمس — فتبغتني في منعطف وتتناولني بيدين جبارتين، على هزالهما، وتخبطني بالحيط خبطاً وتصيح محملقةً بي: «أنا هنا، يا خائن، فأين انت!»

عجيب امري مع هذه المخلوقة العجيبة! ولو سألتني ان اسميها او اصفها لك لما استطعت. شيء — قلت لك — او اشياء تتجسد حيناً في كتاب جديد يعترضني في واجهة فأقف إزاءه مبهوتاً، ادفع انفي في الزجاج وأودّ لو اقتحمه لأشم رائحة الحبر بملء رئتي وأقضم الحروف باسناني. وتتجسد حيناً في ورقة خريف تتهاوى على رأسي في نزهة، أو في نجمة شاحبة تطل في افق السماء. وبينما هي تخرج من اسمال فقير يزحف على الحضيض تارة، إذا هي تارة اخرى تتململ في «الفراك» الذي أتزمّل به في بعض اوقاتي؛ حتى لقد ضاقت بي وضقت بها ذات يوم، وانا انحني امام ملك من ملوك الدنيا، فوقفت دوني ودونه حية تفحّ ما يزال لفحُ سمها في وجهي.

تلك هي الآمال المعقودة على «الآداب». او تلك هي رسالة الكاتب. أو ذلك هو مثل الفنان الاعلى. هكذا يسميها الناس، وانت منهم، وبهذه الألقاب يدلون عليها. اما انا فعذرك إذا لم اوفق منذ البداية الى هذه الألفاظ والنعوت. وعذرك، من بعد، اذا صارحتك بانني اكره الأخذ بها.. ترى، أهي، في الاصل، أقصر من ان تطال ما اريد، ام هي الكلمة تلوكها الالسن وتتداولها الاقلام فتفقد طعمها، فهي على الاستعمال بغيّ؟

كل ما اعرفه، يا اخي، انني طلّقت الكتابة منذ زمان، وانني منذ ان طلقتها وكأنني سلخت مني شيئاً كان في وقت من الاوقات كل شيء. اذا قلتُ اللذة قصّرتُ، واذا قلت المجد جدّفت، وإذا قلت الهناءة كلها لم أقل شيئاً، لأنه كان أعمق من اللذة كلها، وأبعد من المجد كله، وابقى من الهناءة. وانا اذكر ذلك جيداً.

بل انا اعرف ذلك جيداً، فما بالي أدور وأراوغ؟ كل الظن انني اتلمس الاعذار بل الاستار لخيانة ارتكبتها وما أزال ارتكبها كل يوم وكل ساعة. دونها خيانة الخليل لخليلته، والجندي لوطنه، والمؤمن المتعبد لربه وخالقه.

كيف لا وهي خيانة النفس!

أجل؛ خائنٌ نفسي انا. اضطررتني، يا اخي، الى قولها بما سقتَ إليّ، وإلى امثالي، من تعنيف، وما ازجيته من استثارة للعودة او بالحريّ التوبة. أفأنت قادر على حملي اليها؟ أتكون «الآداب» خليقة بان تردني الى ضالتي المنشودة او تردها إليّ، فاطوقها من جديد بذراعي واجعل ذراعيها طوقاً في عنقي الى الابد؟ ام تكون قصاراك انك القيت في المياه الراكدة حصاةً وحركت في طمأنينتي توبة كاذبة تنقضي بكلمة حلاوتها من الشفاه وقبلة لا حلاوة لها، وبعدهما اعود الى صحراء الحرمان وجهنم الخيانة؟...

طهران — توفيق يوسف عواد

كان رئيس التحرير قد وجّه الى الاستاذ توفيق يوسف عواد القائم باعمال المفوضية اللبنانية في طهران والاستاذ فؤاد الشايب المدير العام للدعاية والنشر في سوريا رسالتين بغريهما فيهما بالعودة الى ميدان الأدب الرفيع، وهما من فرسانه المجلّين، بعد ان هجراه فترةً هي في حساب المعجبين بهما طويلة.

ويُسعد «الآداب» ان يكون لصوتها صدىً بعيد الغور في نفسيْ الاديبين الصامتين، ويسُرها ان تنشر فيما يلي جوابيهما، وهما فلذتان حيّتان من رائع «أدب الرسائل». وسوف نقدم الى القراء في العدد القادم اولى ثمرات الاستاذ عواد الجديدة، فيا نحن نزجي الى الاستاذ الشايب رغبة مخلصة في ان يستمدّ من الاوضاع التي تعيش فيها بلاده وبلاد العرب جميعاً مادّة حيّة لألوان من أدبه المعبّر العميق، فيفيد بلاده بالأدب كما يفيدها بالمنصب الرفيع الذي يتبوأه.